من روائع الأدب المصرى

قصة سقوط يافا

ترجمة صفاء محمد

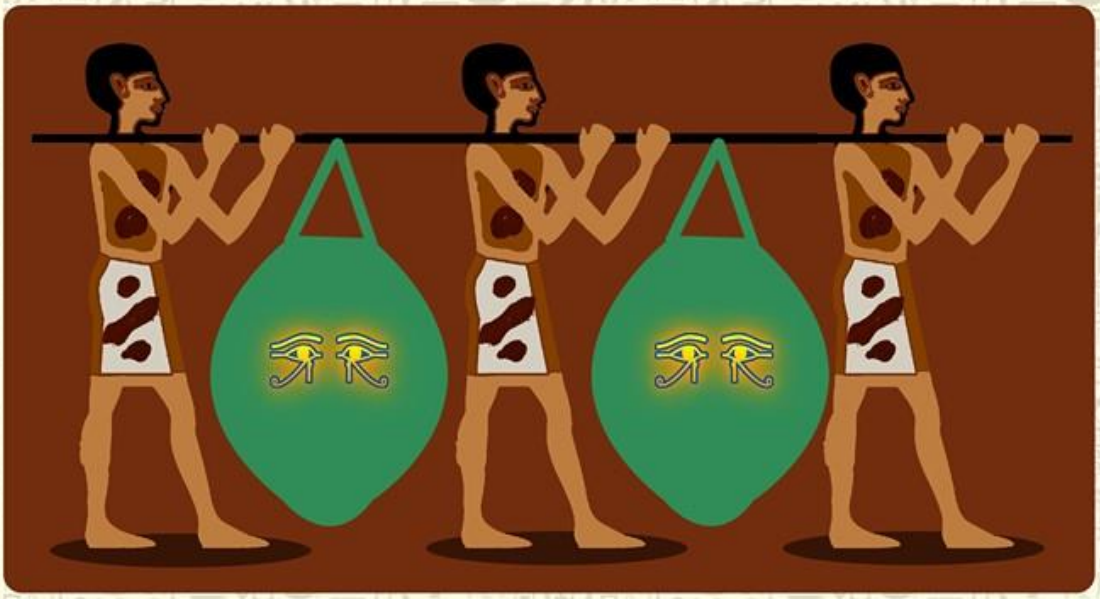

خلاف : حكيم المصري

فهرس

المقدمة ..... صفحة 3

متن القصة ..... صفحة 18

المراجع ..... صفحة 24

المقدمة

عثر على قصة سقوط يافا مدونة بالخط الهيراطيقى فى بردية هاريس 500 و هى نفس البردية التى تحوى قصة الأمير المسحور . يعتقد علماء المصريات أن تاريخ تدوين البردية يعود لعصر الأسرة 19 , دولة حديثة (حوالى 1200 سنة قبل الميلاد) , و هى محفوظة حاليا بالمتحف البريطانى تحت رقم (EA 10060) .

لا يوجد أدلة تاريخية كافية يمكن أن نستند إليها لكى نؤكد أو ننفى وقوع تلك الأحداث . فالملك تحتمس الثالث قام بتسجيل معاركه الحربية فى حولياته الشهيرة بمعبد الكرنك و فى مصادر أخرى , و هى تخلو من ذكر أحداث سقوط يافا كما وردت فى متن القصة .

أما بطل القصة فهو بلا شك شخصية تاريخية حقيقية , فقد خدم الضابط **تحوتى** فى الجيش المصرى فى عصر جلالة الملك "مين خِبر رع" (تحتمس الثالث) الذى حكم مصر من سنة 1479 إلى سنة 1425 قبل الميلاد .

عثر على مقبرة الضابط تحوتى فى سقارة سنة 1824 ميلادية على يد تاجر الآثار الايطالى "برناردينو دروفيتتى" (Bernardino Drovetti) و الذى قام بنقل العديد من محتويات المقبرة إلى متاحف أوروبا . و من أهم القطع الأثرية التى نهبت من مقبرة تحوتى و انتقلت لمتاحف أوروبا : طبق من الذهب و آخر من الفضة (حاليا بمتحف اللوفر) , 4 أوانى كانوبية (حاليا بمتحف فلورنسا), جعران للقلب و أسورة من الذهب (حاليا بمتحف لايدن بهولاندا) , خنجر (حاليا بمتحف دارمشتات بألمانيا) . أما التابوت و المومياء فلم يعثر لهما على أثر , رغم أن دروفيتتى ذكرهما باقتضاب فى سجله الخاص باكتشاف المقبرة .

الطبق الذهبى المكتشف بمقبرة الضابط تحوتى , و يعرض حاليا بمتحف اللوفر بفرنسا .

يحمل الطبق الذهبى للضابط لتحوتى و المعروض بمتحف اللوفر النص التالى :-

► وسام من ملك الصعيد و الوجه البحرى , جلالة الملك "مين خِبِر رع" (تحتمس الثالث) ,

للنبيل و "الأب الإلهى" (لقب من ألقاب الكهنة) ,

الذى يحبه الإله ,

مندوب الملك و موضع ثقته فى كل البلاد الأجنبية و فى جزر البحر العظيم (جزر اليونان) ,

الذى يجلب للبلاد الذهب و الفضة و أحجار اللازورد .

قائد الجنود ,

الكاتب الملكى ,

تحوتى , صادق الصوت (المرحوم) ◄.

*****

إن عشقى لهذا الوطن ليس له حدود , و رغم المِحَن التى مرت و لا زالت تمر به إلا أنى لم أفقد أبدا إيمانى بالإنسان المصرى الذى يمتلك قدرات لامحدودة قد تظل كامنة لعصور طويلة ثم تظهر فجأة فى أوقات المِحَن . كنت دائما أرغب فى التعبير عن تلك الفكرة بشكل قصصى , و كم كانت دهشتى حين عثرت على ضالتى فى الأدب المصرى القديم . فقد اكتشفت أن الأجداد كان لهم السبق فى التعبير عن نفس الفكرة بأسلوب غاية فى الطرافة فى تحفة أدبية رائعة يطلق عليها "قصة سقوط يافا" .

و قصة سقوط يافا هى عمل أدبى يخلد بطولات الجندى المصرى و قدرته على القتال و تحقيق النصر – بدون سلاح – فقط باستخدام الحيلة و خفة الحركة و قوة الملاحظة و سرعة البديهة و قوة الذراع و القليل من الأدوات كالحبال و الخشب .

و حتى إذا لم يكن هناك دليل تاريخى على حدوث قصة سقوط يافا كما وردت فى النص الأدبى و إذا كان لدى القارئ شك فى قدرة قوات النخبة فى عصر الملك تحتمس الثالث على تحقيق تلك المعجزة العسكرية فعليه أن يتذكر الإنجاز العظيم الذى حققه الجيش المصرى فى حرب أكتوبر سنة 1973 ميلادية , عندما دمر خط بارليف – و هو من أقوى التحصينات الدفاعية فى العالم – باستخدام خراطيم المياه .

إن عبقرية العسكرية المصرية تكمن فى بساطة الأفكار و معرفة كيفية استخدامها فى الوقت المناسب . و هذا ما فعله القائد تحوتى فى قصة سقوط يافا .

*****

أصدر الملك تحتمس الثالث أوامره لقادة الجيش باقتحام مدينة يافا بعد أن أعلن أميرها الحرب على مصر حين قتل جنودها غدرا . جمع الملك قادة الجيش المصرى ليستمع إلى خططهم العسكرية .

و هنا تقدم الضابط تحوتى بخطة لاقتحام مدينة يافا باستخدام حيلة مدهشة كانت مصدر إلهام لرواة القصص على مر الزمن . كانت تفاصيل الحيلة و طريقة تنفيذها فى غاية الطرافة بحيث تركت بصمتها على العديد من القصص فى مختلف أنحاء العالم , و منها على سبيل المثال قصة حصان طروادة و على بابا فى حكايات ألف ليلة و ليلة .

و قصة سقوط يافا لا تحتفى فقط بالقائد تحوتى و تخلد عبقريته و إنما تخلد أيضا شجاعة الجندى المصرى و عبقريته . فهناك أمر لا ينتبه إليه الكثيرون عند قراءة القصة , و هو أن الخمسمائة جندى الذين اقتحموا مدينة يافا فعلوا ذلك بدون سلاح .

لم يذكر متن القصة وجود أية أسلحة فى السلال التى تم إدخالها إلى المدينة فى صورة هدايا .

كل سلة من سلال الهدايا كانت تخفى بداخلها جنديا من قوات النخبة (القوات الخاصة) لا يحمل معه سوى صندله و لفة من الحبال و كلبشات خشبية لتقييد أيادى الأسرى .

و الصورة التالية توضح للقارئ كيف تبدو هذه الكلبشات و كيف توضع حول رقبة الأسير و يديه فتقيد حركته تماما .

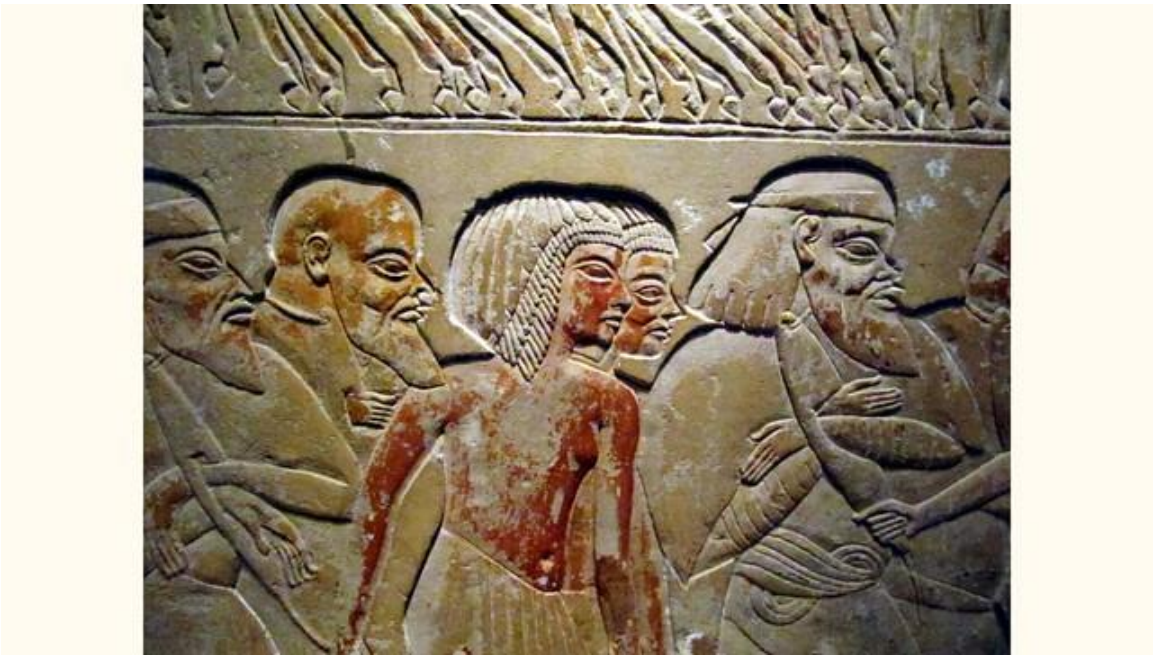

مشهد من مقبرة الملك "حور محب" بسقارة يصور جنودا مصريين يقتادون مجموعة من الأسرى مقيدين بالكلبشات الخشبية المستخدمة فى ذلك العصر .

اعتمد الضابط تحوتى على عنصرى الخداع و المفاجأة , حيث قام بإدخال 500 جندى من قوات النخبة إلى داخل مدينة يافا , و ذلك بأن تظاهر بالانقلاب على الملك تحتمس الثالث و أوهم أمير يافا أنه جاء مستسلما معلنا الولاء له . و لكى يؤكد الضابط تحوتى على ولائه لأمير يافا أخبره بأنه أحضر معه مائتى سلة محملة بالهدايا من مصر – هكذا قيل لأمير يافا – بينما كانت السلال تخفى جنودا من قوات النخبة المدربة على فنون القتال بالأيدى فقط , بدون أسلحة .

قام بحمل تلك السلال ثلاثمائة جندى من قوات النخبة من نفس الفرقة , ليكون إجمالى عدد الفرقة القتالية 500 نفر (جندى) .

حملت السلال بطريقة خاصة باستخدام عصى خشبية طويلة يتم رفعها فوق أكتاف الجنود لتتدلى منها السلال , بحيث يقوم كل ثلاثة جنود بحمل سلتين , كما فى المشهد التالى .

مشهد تخيلى يوضح الطريقة التى تم بها حمل السلال و إدخالها إلى مدينة يافا .

و يبدو أن طريقة حمل السلال (ثلاثة حمالين لكل سلتين) لها علاقة بطريقة عمل الجنود و أسلوبهم فى القتال . فالخمسمائة جندى تم تقسيمهم إلى 100 وحدة قتالية . كل وحدة مكونة من ثلاثة جنود حمالين و ثلاثة محمولين داخل السلال . كل وحدة قتالية تعرف دورها و تعرف إلى أين ستتجه بمجرد تلقى إشارة البدء بالقتال . أثناء دخول موكب السلال من أسوار المدينة يقوم الحمالون بمراقبة مواضع تمركز الحراس و عددهم و أسلحتهم , و لذلك كان دور الحمالين هو البدء بالهجوم المباغت . و باستخدام المهارة فى المراوغة يتفادى المهاجمون ضربات أسلحة حراس أسوار يافا و يوجهون ضربات سريعة قوية إلى رؤوس الحراس تفقدهم توازنهم فيسقطون على الأرض و يتم خطف أسلحتهم على الفور . علينا ألا ننسى أن عنصر المفاجأة له دور أساسى فى الخطة , لأن المفاجأة تفقد العدو توازنه و تمنح البادئ بالهجوم السبق و التفوق . ثم يأتى دور الجنود المحمولين داخل السلال و معهم الكلبشات و الحبال ليكملوا عمل زملائهم فى الوحدة القتالية و يقوموا بوضع الكلبشات حول رقاب الأسرى و أياديهم و يقيدونهم بالحبال .

*****

تعتبر قصة سقوط يافا من روائع الأدب المصرى لأنها خلدت شجاعة القائد تحوتى و عبقريته فى استخدام الحيلة كسلاح فى المعارك الحربية . و ربما كانت حلقة من سلسلة قصصية دونت بغرض تثقيف عناصر الجيش المصرى . فالرسالة التى تحملها القصة للجندى المصرى هى أن القوة الحقيقية للجيش ليست فقط فى كثرة عدد الجنود و السلاح و إنما أيضا فى الذكاء و سعة الحيلة و تعلمه أن كتيبة صغيرة تستطيع أن تحتل مدينة كبيرة محصنة بأقل عدد من الجنود , و بدون سلاح .

و عبقرية القائد تحوتى لا تكمن فقط فى سعة الحيلة و القدرة على الخداع و إنما فى قدرته على تدريب مجموعات قتالية معينة من قوات المشاة يمكن أن نطلق عليها قوات النخبة أو القوات الخاصة بلغة عصرنا الحديث . و تحوتى ليس مجرد ضابط جيش انتصر فى معركة أو عدة معارك , بل هو المثل الأعلى للقائد العسكرى الذى يصنع الرجال . فالقائد الماهر بحق لا يكتفى بالتدريبات البدنية , و إنما يربى تلاميذه على منهج تفكير يطلق طاقاتهم الروحية و يشكل شخصيتهم و يصبح جزءا من كيانهم .

تتميز قوات النخبة بقدرتها على القتال فقط باستخدام الأيدى و بمهارتها فى توظيف عنصر المفاجأة و سرعة الحركة و الاستعانة ببعض الأدوات البسيطة كالحبال و الأخشاب . و الهدف هنا لا يكون قتل الخصم و إنما تجريده من سلاحه و شل حركته .

و هذا النوع من فنون القتال يتم تدريسه فى معابد شاولين الصينية تحت مسمى "ووشو" .

و تعتبر قصة سقوط يافا دليلا على أن هذا النوع من الفنون القتالية كان معروفا فى مصر منذ أقدم العصور و أن الجندى المصرى برع فيه . و يبدو أن القائد تحوتى قام بتطوير تلك الفنون و استطاع تكوين فرق قتالية على مستوى عالى جدا من اللياقة البدنية و النفسية . و قصة سقوط يافا أحد الأمثلة التى توضح الإمكانيات الهائلة لفرق النخبة المصرية فى ذلك العصر .

بدأ المصريون القدماء فى تصوير مناظر المصارعة و القتال بالأيدى منذ عصر الدولة القديمة , حيث نرى فى العديد من مقابر الأفراد بسقارة مشاهد تصور "عراك البحارة" , و هو عبارة عن قتال بالأيدى بين الشباب .

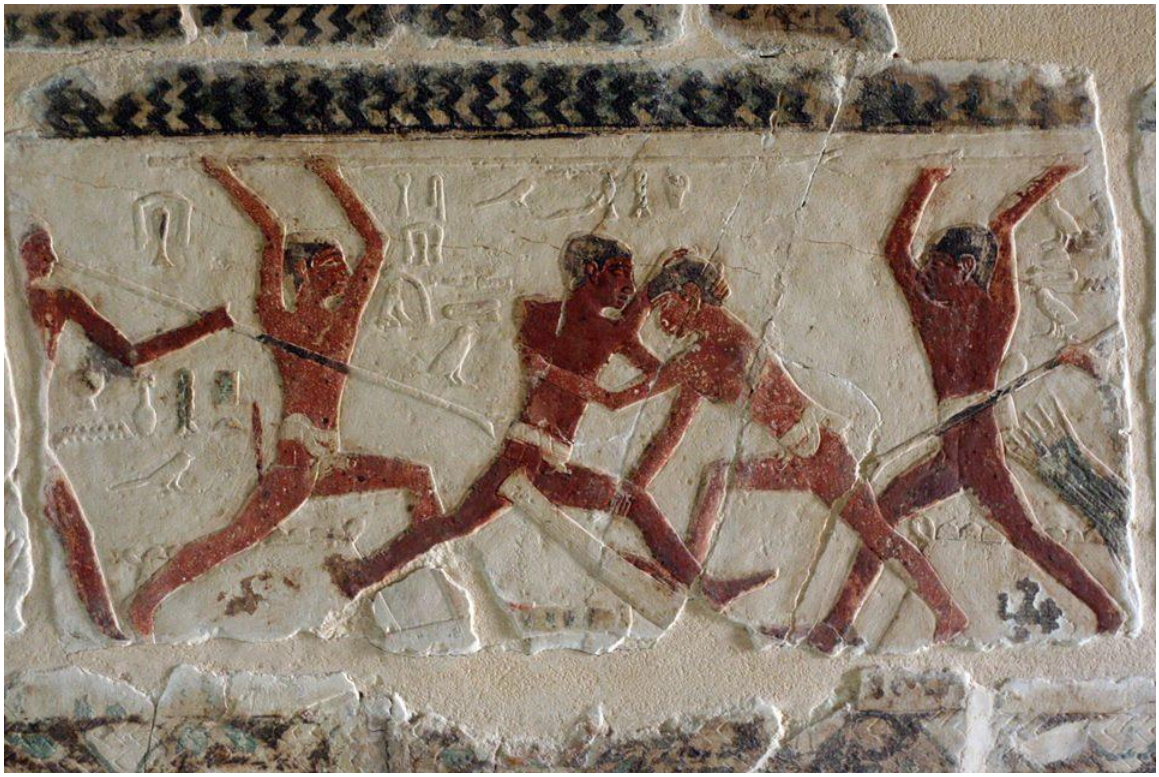

مشهد يصور ممارسة الشباب لرياضة المصارعة . من مقبرة الأخوين بسقارة , عصر الأسرة الخامسة , دولة قديمة , حوالى 2400 سنة قبل الميلاد .

و فى عصر الأسرة 11 , دولة وسطى (حوالى 2130 سنة قبل الميلاد) , صور الفنان المصرى مجموعة رائعة من مشاهد المصارعة فى مقبرة "باقت الثالث" و ابنه "خيتى" فى بنى حسن (محافظة المنيا) .

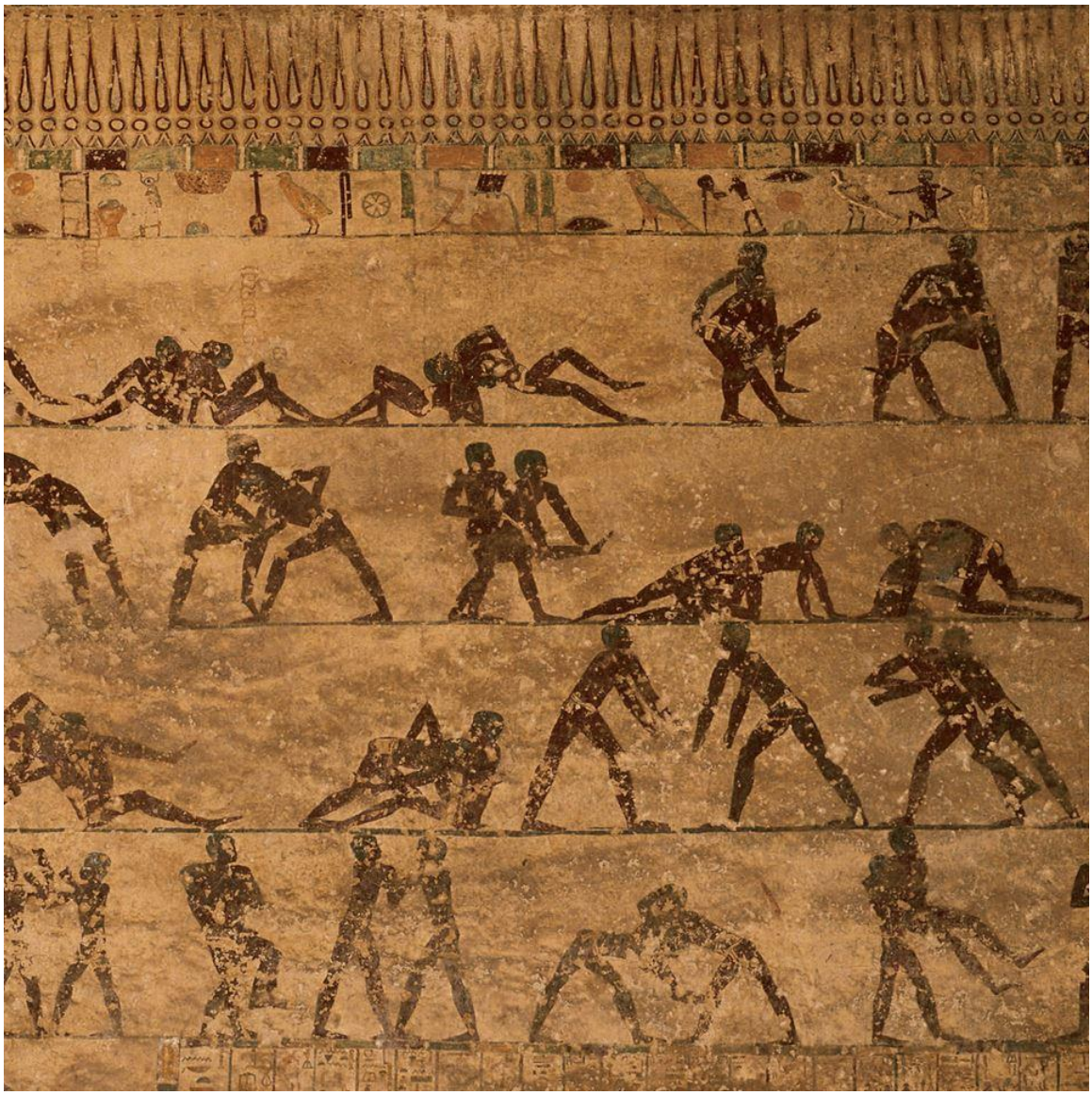

مشهد من مقبرة "باقت الثالث" و ابنه "خيتى" , أسرة 11 , دولة وسطى , بنى حسن , محافظة المنيا .

و يبدو أن القائد تحوتى برع فى تلك الفنون و ربما قام بتطويرها و استطاع تكوين فرقة من قوات النخبة تمتلك قدرات هائلة . و لنا أن نتخيل أن القائد تحوتى قام باختيار هذه الفرقة المكونة من 500 جندى مقاتل بمواصفات جسدية معينة بحيث يتمتع أفرادها بقصر القامة و نحول الجسد لكى يتمكنوا من الاختباء داخل السلال , و فى نفس الوقت تمتلك تلك العناصر القتالية القوة العضلية و خفة الحركة و سرعة رد الفعل و الثبات الانفعالى . تلك هى المعايير التى استند إليها القائد تحوتى عند قيامه بتشكيل فرقته القتالية بحيث استطاع 500 نفر (جندى) احتلال مدينة كاملة باستخدام الأيادى و الحبال الكلبشات الخشبية . و لذلك تؤكد القصة على عدم سقوط قتلى من الطرفين و تختتم بوصف كثرة عدد الأسرى من الأعداء . يخبرنا متن القصة أن تحوتى قام باقتياد الأسرى (جاب الأسرى) بعد تحقيق النصر . و لا يزال الموروث الشعبى المصرى حتى الآن يصف البطل القومى المصرى بأنه "جاب الأسرى" , حيث يعتبر جلب الأسرى دليلا على الشجاعة و قدرة البطل على حماية الوطن .

تتجلى عبقرية القائد تحوتى العسكرية أيضا فى قيامه بأسر أمير يافا أولا و تقييده بالأغلال قبل أن يصدر الأمر إلى جنوده بالبدء فى تنفيذ خطة الاقتحام . فغياب القيادة العسكرية للعدو يعتبر من أهم عوامل تحقيق النصر فى الحروب , لأن فقدان القيادة يفقد العدو توازنه و يوقع جيشه فى حالة من الفوضى .

*****

و من الأشياء الجديرة بالتأمل فى قصة سقوط يافا حرص القائد تحوتى على اصطحاب عصا الملك تحتمس الثالث معه أثناء القيام بالعملية العسكرية . إن وجود عصا الملك تحتمس الثالث هنا يرمز لحضور الملك بصورة غير مباشرة . فكل الحروب التى يخوضها الجيش المصرى يجب أن تكون تحت قيادة ملك مصر , لأن الملك هو صورة حورس على الأرض .

و كل صراع على الأرض هو صورة مكررة من صراع حورس و ست أو صراع آتوم و ثعبان عبيب (رمز الفوضى) فى الزمن الأول .

إن العقل المصرى لا يعرف فكرة خوض حرب دون أن يكون الملك على رأس الجيش و فى مقدمته . و جنود مصر لا يحاربون إلا فى معيَّة رع , أو مع الملك بصفته صورة رع على الأرض , لأنهم جنود النور . و لذلك حرص سارد القصة على تأكيد حضور الملك تحتمس الثالث وسط جنوده , حتى و إن كان ذلك الحضور بشكل غير مباشر , من خلال عصاه .

إن عصا الملك فى سياق القصة تنوب عنه لأنها تحمل جزءا من طاقته الحيوية , فالفلسفة الروحية المصرية ترى أن المتعلقات الشخصية لكل إنسان تحمل جزءا من طاقته الروحية و يطلق عليها فى مصر القديمة اسم "كا" . و لذلك كان حضور أية قطعة من المتعلقات الشخصية لإنسان هو شكل من أشكال الحضور الروحى وسط الأحداث .

ارتبطت العصا الملكية فى مصر القديمة بقوة الملك و هيمنته على قوى الفوضى . فمنذ بداية عصر الأسرات كان الفن المصرى يصور الملك ممسكا بعصاه فى إحدى يديه , و فى يده الأخرى يمسك بناصية العدو ليضربه على رأسه بالعصا . يطلق هذا المشهد اسم مشهد ضرب الأعداء , و أقدم مثال لمشهد ضرب الأعداء فى الفن المصرى هو لوحة نارمر الشهيرة التى تعود لعصر الأسرة الأولى .

الملك نارمر يرفع عصاه و يهم بضرب العدو . المتحف المصرى , القاهرة .

استمر ظهور مشهد ضرب الأعداء طوال عصور الحضارة المصرية . حيث نرى أغلب ملوك مصر و هم يحملون العصا الملكية التى تقهر الأعداء .

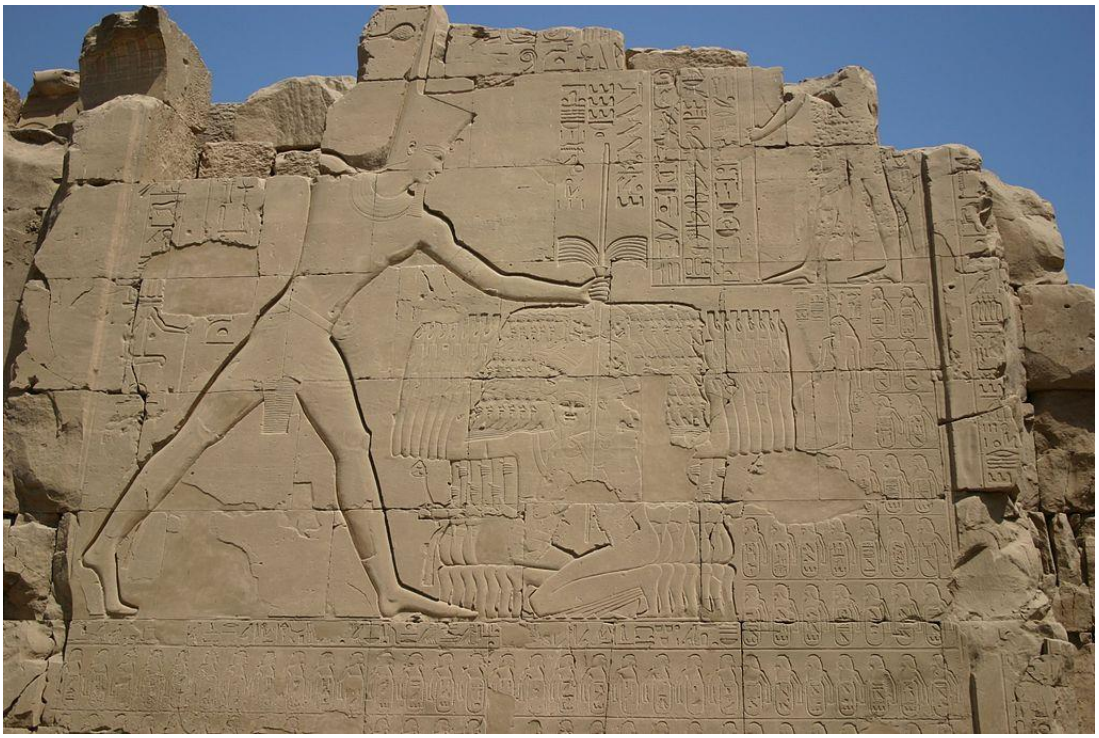

الملك تحتمس الثالث يمسك بعصاه و يقهر بها الأعداء . معبد الكرنك .

هذا المشهد الذى يصور ملك مصر مهيمنا على قوى الفوضى بفضل عصاه التى تقهر أعداء رع (أعداء النظام) ظل محفورا فى الوعى الجمعى للأمة المصرية لآلاف السنين , و لذلك ارتبطت عصا الملك فى مصر القديمة بالنصر العسكرى . و يبدو أن الفكرة انتقلت للشعوب الأخرى , و هنا يكمن سر رغبة أمير يافا فى رؤية عصا الملك تحتمس الثالث و لهفته للحصول عليها .

و فكرة العصا قاهرة الأعداء لم تنتقل فقط لشعوب العالم القديم , بل أيضا لشعوب العالم فى عصرنا الحديث . ظلت العصا قاهرة الأعداء حاضرة بقوة فى الذاكرة الشعبية طوال التاريخ إلى أن اقتبستها العسكرية الأوروبية فى العصر الحديث و قامت بتوظيفها . فالرمز الخاص بأعلى رتبة فى الجيوش الأوروبية (رتبة المارشال) هى العصا , و يطلق عليها اسم عصا المارشالية .

المارشال الفرنسى "جون بابتيست جوردان" يمسك بعصا المارشالية . ولد جون بابتيست جوردان سنة 1762 ميلادية و ترقى لرتبة مارشال الإمبراطورية الفرنسية سنة 1804 ميلادية .

و فى قصة سقوط يافا نرى العصا الملكية التى تقهر الأعداء حاضرة بقوة , و نلاحظ أنها تلعب دورا رئيسيا فى سياق الأحداث . فالانتصار الذى حققه القائد تحوتى و جنوده من قوات النخبة تم تحت قيادة الملك تحتمس الثالث و فى حضوره , و هذا الحضور تم بشكل رمزى من خلال العصا الملكية .

إن انتقال عصا الملك تحتمس الثالث للقائد تحوتى يرمز لانتقال قيادة الجيش المصرى من الملك إلى ذلك القائد الفذ , صانع الرجال , الذى لا يعرف المستحيل .

و هكذا انتصر جنود مصر الأوفياء بقيادة الضابط العبقرى تحوتى , و فى حضور ملك الصعيد و الوجه البحرى , "سا رع" (ابن رع) , "مِين خِبِر رع" (تحتمس الثالث) .

صفاء محمد ,

إيونو (عين شمس) ,

17 برمهات سنة 6261 مصرية ,

الموافق 26 مارس سنة 2020 ميلادية .

قصة سقوط يافا

متن القصة

فى سالف العصر و الأوان , عصر الملك "**مين خبر رع**" (**تحتمس الثالث**) , كان هناك ضابط عظيم فى الجيش المصرى يدعى **تحوتى** , لم يكن له مثيل فى شجاعته فى بَر مصر .

كان **تحوتى** يتبع جلالة الملك **تحتمس الثالث** فى كل حملاته العسكرية التى قادها شمالا و جنوبا . و كان دائما فى مقدمة قوات المشاة و على رأسهم . و كان خبيرا بكل الخطط و الاستراتيجيات العسكرية و الخدع التى استخدمت فى الحروب . و لذلك منحه الملك وساما ذهبيا لشجاعته فى ميدان القتال و عبقريته فى وضع الخطط الحربية .

و فى يوم من الأيام وفد إلى قصر الملك **تحتمس الثالث** مرسال من بلاد "خارو" (جنوب سوريا) . دخل المرسال إلى بلاط جلالة الملك , فبادره الملك بالسؤال :

► من الذى أرسلك ؟ و ما هى الرسالة التى تحملها ؟ ◄ .

أجاب المرسال : ► بعثنى حاكم البلاد الشمالية (الشام) لكى أخبرك أن أمير يافا قام بالثورة و العصيان ضد جلالتك و قام بقتل جنود المشاة و جنود سلاح المركبات التابعين لجلالتك . لقد أعلن بذلك الحرب على مصر و لا يستطيع أحد أن يوقفه ! ◄ .

و حين سمع جلالته تلك الكلمات انتابه الغضب و تحول وجهه و أصبح كالفهد الأفريقى و تحدث إلى مجلسه بتلك الكلمات :-

► أقسم بجلال وجه رع و بقدرته , و بالحب الذى يغمرنى به أبى آمون , و أقسم بحياتى , لأدمرن حصون حاكم يافا الوضيع . ستطوله ذراعى أينما كان و سألقنه درسا لن ينساه ◄ .

ثم جمع جلالته النبلاء و قادة الجيش المصرى و كهنة "غِرى حِب" (الكهنة المرتلين / حملة الكتب المقدسة) و أطلعهم على الرسالة التى تلقاها من مندوبه فى البلاد الشمالية (بلاد الشام) , فلم ينطقوا بكلمة .

و بعد لحظات من الصمت تكلم الضابط **تحوتى** قائلا : ► يا من تبجلك الأرض كلها و تنحنى أمام هيبتك , لقد أثارت كلماتك هِمَتى و أشعلت حماسى . ها هى خطتى و أرجو أن تنال موافقتك .

أرسلنى إلى يافا و أرسل معى عصاك قاهرة الأعداء . و أرسل معى كتيبة من المشاة و من سلاح المركبات من خيرة جنود مصر و سوف أدمر حصون أمير يافا و أحضره لك أسيرا ◄ .

أجاب الملك **تحتمس الثالث** : ► أحسنت القول يا **تحوتى** ◄ .

و أعطاه الملك عصاه قاهرة الأعداء و أرسل معه كتيبة من المشاة و من سلاح المركبات من خيرة جنود الجيش المصرى .

و قبل التحرك إلى يافا أمر **تحوتى** بتجهيز كيس كبير من الجلد بحجم إنسان و أغلالا من البرونز للأيادى و الأقدام و مئات من الأغلال الخشبية التى توضع حول رقاب و أيادى الأسرى (الكلبشات) و لفائف من الحبال المخصصة لتقييد الأسرى , كما أمر بتجهيز مائتى سلة من الحجم الكبير و شباك من الحبال و عصى خشبية . كانت تلك أسلحة **تحوتى** التى أعدها لتأديب أعداء مصر .

و بدأ القائد **تحوتى** و جنوده السير إلى بلاد خارو , و بعد أيام وصل إلى حدود مدينة يافا .

و عند وصوله شيد معسكره خارج أسوارها و بعث مندوبه إلى حاكم يافا بهذه الرسالة :-

► أنا **تحوتى** قائد قوات المشاة فى أرض مصر , و قد تبعت جلالة الملك **تحتمس الثالث** فى كل حملاته العسكرية شمالا و جنوبا . و لكن , تخيل , لقد أصبح الملك يغار منى لأنى بطل مغوار , و الآن يريد أن يتخلص منى بعد أن خدمته لسنوات طويلة . لحسن الحظ أنى تمكنت من الهروب فى الوقت المناسب و جلبت معى عصاه قاهرة الأعداء . إذا أردت الحصول عليها سأعطيها لك و سأكون من أتباعك أنا و كل أفراد الكتيبة التى هربت معى و هم من أفضل عناصر الجيش

المصرى و من أشجع الجنود . سأقوم بتسليم نفسى أنا و زوجتى و أولادى و سنصبح من سكان مدينتك , و لكنى سأسلم نفسى لك أنت شخصيا , و ليس لجنودك . دعنا نلتقى خارج أسوار مدينتك , هنا فى خيمتى ◄ .

ابتسم حاكم يافا بسعادة غامرة عند سماعه هذه الكلمات , لأنه يعلم أن **تحوتى** بطل مغوار لا مثيل له فى شجاعته و مهارته فى كل البلاد .

أرسل حاكم يافا مرسالا إلى **تحوتى** فى خيمته بمعسكره يقول فيها :► انضم لأتباعى و سأكون لك كالأخ و سأمنحك قطعة من الأرض من أفضل الأراضى فى يافا لتكون ملكا لك ◄ .

ثم خرج حاكم يافا بصحبة قائد مركباته و حرسه الخاص من مدينته و توجه إلى خيمة **تحوتى** و صافحه و جلس معه ليفاوضه على شروط الاستسلام , و لم يكن فى الخيمة أى شخص بخلاف **تحوتى** و أمير يافا .

أرسل أمير يافا حرسه الخاص لإحضار طعام و شراب و جلس مع **تحوتى** فى خيمته لتبادل الحديث و بينما كان تحوتى يجلس فى خيمة القيادة مع حاكم يافا كان جنوده يتسامرون مع الحرس الخاص بأمير يافا خارج أسوار المدينة و يشاركونهم الشراب .

تبادل أمير يافا الحديث مع **تحوتى** و كان الفضول يقتله للحصول على عصا الملك **تحتمس الثالث** .

فبدأ الحديث مع تحوتى قائلا :-

► حدثنى عن عصا الملك **تحتمس الثالث** , كيف هى ؟ و ما شكلها ؟ ◄ .

و هنا قال **تحوتى** : ► ستراها فى الوقت المناسب , بمجرد أن يخرجها جنودى من مكمنها . أرجو أن تسمح بجلب الخيول لإطعامها بينما نجلس معا و نتناول الطعام و الشراب , لأن العصا مخبأة فى سلال العلف . عند إطعام الخيول سيجدها جنودى و سيأتى أحدهم على الفور لإخبارى بأمرها . لقد جلبت معى المئات و المئات من السلال . بعضها لعلف الخيول و البعض الآخر للهدايا التى سأقدمها لك إذا وافقت على دخولى مدينتك لاجئا . كل هذه السلال موجودة فى خيمة المؤن خلف معسكرنا , و أخشى أن يأتى أحد "العابيرو" (العبرانيين) و يسرقها أثناء انشغال جنودى بإطعام الخيل . أرجو أن تصدر الأوامر لحرسك الخاص بتجهيز مكان داخل أسوار المدينة لسلال الهدايا التى سيحملها

جنودى من أجلك . علينا بالإسراع بنقل سلال الهدايا حتى لا تتعرض للسرقة ◄ .

نادى أمير يافا على قائد حرسه الخاص و أخبره بأمر سلال الهدايا التى سيحملها جنود تحوتى إلى داخل المدينة و أمره بالإشراف بنفسه على موكب نقل الهدايا و دخوله إلى المدينة .

و نادى تحوتى على جنود فرقة المركبات و أمرهم بإخراج سلال العلف لإطعام الخيول , و كانت تلك إشارة للقوة التى ستقتحم المدينة بتجهيز سلال الهدايا التى يختبئ فيها الجنود المقاتلون .

و ضع جنود فرقة المركبات سلال العلف أمام خيولهم و بدأت الخيول فى تناول طعامها , إلى أن ظهرت العصا . فأتى أحد الجنود إلى خيمة **تحوتى** و أخبره بالعثور على عصا الملك **تحتمس الثالث** . و حين سمع أمير يافا بظهور العصا قفز قلبه من الفرح و قال :

► إنى أرغب فى رؤية تلك العصا أكثر من أى شئ آخر . أستحلفك ب "كا" (حياة) جلالة الملك "مين خِبِر رع" (**تحتمس الثالث**) أن تكون تلك العصا فى يدى اليوم . اذهب و أحضرها على الفور , فأنا لا أستطيع الانتظار ◄.

فعل **تحوتى** كما قال أمير يافا و ذهب إلى مربط الخيول , و أخذ العصا من السلة التى كانت مخبأة فيها و أخفاها فى ملابسه , ثم ذهب إلى خيمة المؤن حيث وضعت سلال الهدايا و أعطى إشارة البدء بتنفيذ خطة الاقتحام . كانت السلال جاهزة حسب الخطة . وضع **تحوتى** مائتي جندى من قوات النخبة داخل السلال و وضع معهم صنادلهم و لفائف من الحبال و الكلبشات الخشبية التى تستخدم فى تقييد الأسرى . ثم قام بغلق السلال و تجهيزها لكى يحملها الجنود .

و هنا أتى ثلاثمائة من الجنود الأقوياء ليحملوا السلال .

و قال لهم **تحوتى** : ► بمجرد الدخول من أسوار المدينة قوموا بفتح السلال و أخرجوا رفاقكم و ابدأوا فورا بالهجوم على جنود الحراسة و ضعوا الأغلال الخشبية فى رقابهم و حول أياديهم و قيدوهم بالحبال . عليكم بتنفيذ ذلك فى لمح البصر قبل أن ينتبهوا أو يدركوا ما الذى يحدث ◄ .

عاد **تحوتى** إلى خيمة القيادة , و عند دخوله أخرج العصا من ملابسه و أمسك حاكم يافا من عنقه و قال :

► أنظر أيها الهالك حاكم يافا , ها هى العصا العظيمة قاهرة الأعداء , عصا الملك "**مين خِبر**

رع" (تحتمس الثالث) , الأسد المهيب , ابن سخمت , الذى ورث قوة أبيه آمون ◄ .

و رفع يده و ضرب أمير يافا بالعصا على رأسه ضربة أفقدته الوعى فسقط مغشيا عليه .

أنقض تحوتى على أمير يافا كما ينقض الصقر على فريسته و قيد ذراعيه و قدميه و وضع أغلالا من البرونز تزن أربعة أرطال حول قدميه و وضعه داخل كيس من الجلد كان معدا لذلك قبل تحرك الكتيبة المصرية إلى المعركة .

و أرسل تحوتى جنديا مصريا إلى قائد الحرس الخاص بأمير يافا قائلا له : ► إن سيدك أصابه الدوار من تأثير الشراب . و أنا هنا لأبلغك رسالة منه . اذهب و أخبر سيدتك (زوجة أمير يافا) داخل المدينة أن تبتهج , فقد رضى عنا سوتخ" (1) و جلب إلينا القائد تحوتى مستسلما , و معه زوجته و أولاده و جنوده . أنظرى , لقد أتى معلنا ولاءه لنا و جلب معه مائتين من السلال المملؤة بهدايا و خيرات مصر ◄ .

و أشار رسول تحوتى إلى السلال التى بدت فى أعين الجميع كسلال الهدايا , و لم يتخيل أحد أن هناك مائتين من الجنود يختبئون بداخلها .

و أمر قائد الحرس الخاص بأمير يافا بفتح البوابة و دخل يتبعه حملة السلال من أنفار كتيبة تحوتى

دخل قائد الحرس الخاص بأمير يافا فى مقدمة الموكب لكى يبشر مولاته زوجة الأمير قائلا :

► لقد أسرنا القائد تحوتى و انتصرنا عليه , و أتانا مستسلما هو و جنوده ◄ .

و فتحت بوابة المدينة ليدخلها حملة السلال . و أثناء دخول حملة السلال كانت أعينهم ترصد مواقع الحراس و أعدادها .

و عند دخولهم فتح جنود تحوتى السلال و خرجت منها القوات المقاتلة المصرية و فى لمح البصر قاموا بالانتشار حسب الخطة و هجموا على حراس مدينة يافا و قيدوهم بالحبال و وضعوا أغلال الأسر فى أياديهم و أعناقهم و استولوا على المدينة و قبضوا على كل رجل كان فى المدينة , صغيرا كان أو كبيرا و وضعوهم فى الأغلال فى الحال .

و هكذا استولت قوة الملك تحتمس الثالث على المدينة و طالت ذراعه حاكم يافا دون أن يغادر طيبة (الأقصر) , لأن جنود جلالته هم ذراعه التى تطيح بأعداء مصر أينما كانوا .

و فى المساء أرسل **تحوتى** رسالة لجلالة الملك **تحتمس الثالث** يقول فيها :-

► ابتهج يا مولاى , فقد أخضع لك آمون حاكم يافا و كل سكان مدينته . أرسل لى المزيد من قوات المشاة لاقتياد الأسرى , لكى تملأ مزارع أبيك آمون , رب عروش الأرضين , بالخدم الذين سيقبعون تحت أقدامك إلى الأبد ◄ .

و هنا تختتم القصة كما نسختها أصابع كاتب الجيش .

هوامش :-

◙ **(1)** سوتخ هو ست قاتل أوزير , و هو رب الصحراء و كل الأراضى التى تقع خارج مصر , و هو غريم حورس ابن أوزير , ملك "الأرضين" (مصر) .

المراجع

◙ Popular Stories of Ancient Egypt , Gaston Maspero .

◙ Egyptian Tales Translated from the Papyri , W.M. Flinders Petrie .

◙ The Literature of Ancient Egypt , William Kelly Simpson .